الحكم الفصل

في الوفاق بين الايمان والعقل

للاب عمانويل رولان اليسوعي

لا يخفى ان الزنادقة واعداء الدين يعتبرون كمبدإ راهن وقضيَّة واضحة التناقض بين الايمان والعقل على خلاف ما يعتقده الدين الكاثوليكي من الوفاق بينهما. وقد تصدَّى ارباب الدين لزعم الملاحدة واثبتوا قولهم بأدلَّة بيّنة وبراهين صادقة تنفي بتاتاً قول المخالفين

على انَّ هؤلاء الناكرين لا يزالون يردّدون قولهم ويتشبَّثون بسفسطتهم لئلَّا يجبرهم الإقرار بالحقّ ان يتبعوا وصايا الدين ويصلحوا سيرتهم الباطلة كما اشار الى ذلك النبي داود في المزامير (٣٥: ٤) حيث يقول عن الانسان الجاهل انهُ «لم يشأ ان يفهم لئلَّا يعمل الخير»

ولكن ما هو يا تُرى سند اولئك الذين يُفتنون بهذه المناقضة المزعومة بين الايمان والعقل ؟ انَّ المجمع الفاتيكاني في احدى جلساته قد روى لمناقضتهم سببين : فالسبب الاوَّل انهم ينسبون الى العلم ما هو حَدْس وتخمين. والثاني انهم يُسيئون فَهم القضايا الدينية فينظمون في سلكها مزاعم يتبرَّأ الدينُ منها . فمثال ذلك عصمة الحبر الاعظم المبنية على قول السيد المسيح للقديس بطرس هامة الرُّسل فانَّ كثيرين يخلطون بين العصمة في اثبات حقائق الدين والعصمة من ارتكاب الخطيئة فانَّ الكاثوليك يقولون بالاولى تحت شروطٍ معلومة لكنَّهم لم يدَّعوا قط بعصمة الاحبار الرومانيين عن الخطيئة . ثمَّ كم من الامور التي زعم الملحدون انها تقرَّرت لدى العلماء وما لبث هؤلاء العلماء فنقضوها وابطلوها

ومن اعتراضاتهم ان الكنيسة الكاثوليكية تعتقد ان الارض خلقها الله في ستة ايام وذلك قبل بضعة الوف من السنين فقط وهم لا يفكرون إلَّا في اليوم ذي

الاربع والعشرين ساعة وليست ايام الخليقة كأيام سنتنا الشمسية · ولا أيام الله كأيامنا لان «الف سنة في عينيه كيوم امس الغابر وكهجعة من الليل» . وكذلك حساب بدء الخليقة وتكوين الانسان تعددت فيه الآراء دون ان تفصل الكنيسة حكمها في محسابٍ دون آخر ولا دخل لعصمتها في ذلك · ونكم للعلماء في حساباتهم من الاحكام المتباينة وحتى الآن لم يتفقوا على واحد منها

ويردف المعطلون انَّ في الدين اسراراً تناقض العقل · وهذه ايضاً من مزاعمهم السفسطية · فان اسرار الدين هي فوق ادراك العقل ولكنها لا تضادُّ الحقائق العقلية · فايُّ عجب ان تكون للدين اسرارهُ الفائقة العقل وفي الطبيعة نفسها اسرارٌ متعددة لم يستطع العلماء الكشف عن قناعها مع ما استنفدوا من القوى في ذلك · أيعجبُ ان يوحي الله لخلائقه حقائق سامية لا يستطيعون إدراكها · كما يعجز الانسان عن بيان مناقضتها لعقله · فهذا سرُّ تثليث اقانيم الله · وهذا سرّ تأنس ابن الله وسرّ القربان الاقدس فان ثبتَ للعقل بعد الفحص المدقَّق انَّ الله أوحى بها أفيجوز للانسان ان يأبى اعتقادها لمجرَّد كونهِ لا يفهمها ؟ كأنهُ يريد قياس علم الله غير المتناهي على عقلهِ القاصر الضيّق النطاق · فيكفيه اذن ان يعلم بانَّ الله هو الحقيقة بالذات لا يمكنهُ ان يخدع او يغوتهُ علمٌ كما انهُ لمستحيل ان يخدع احداً او يضلّهُ فحاشاه ان يوحي بحقيقة منافية للعقل اذ هو ربّ العلوم كما ورد في سفر الملوك الاوّل (٢ : ٣) · وما لا يدركهُ الانسان في دنياهُ سوف يتجلى لهُ في دار الخلود ويُحاط عنهُ كلّ قناع فيكفيهِ اذن في هذه الحياة ان يبلغهُ كلام الله حتى يخشو ساجداً ويرضخ قانتاً لحكمهِ تعالى

انَّ مثال المرء في حياتهِ بازاء الحقائق الموحى بها كمثال رجل ضرير تريهِ صورةً تمثل الجبالَ والوهاد، البحرَ والبرّ، النبات والحيوان يعتقول لهُ انَّ كل هذه الكائنات تلوح في الصورة · فيتقرَّب اليها ويجسّها بيدهِ فيقول كيف تزعم انَّ هناك جبالاً ولا تشعر يدي بجسم مُصمت ؟ تزعم انَّ هناك بحراً ولا تمسُّ يدي ماء ؟ فانا لا أصدّق قولك · أفلا يكون فعلهُ جهلاً ونكرانهُ ضلالاً ؟ فهكذا قل عن الانسان الذي يأبى قبول وحي الله لانهُ لا يدركهُ · فهَبْ انَّ طبيباً يفتح لهذا الضرير بصرهُ فللحال تقتنعُ عيناه بغلطهِ · فهكذا يقال عن اسرار الدين التي يعجز عنها بصر عقلنا حاضراً وسيدركها في الآخرة حينما يرفعهُ الله وينيرهُ بنورهِ الالهي

شهادة العلماء في نفي كل خلاف بين العقل والايمان

انَّ ما سبق لنا قولهُ في الوفاق بين العقل والايمان ونفي كل تناقض بينهما قد اثبتهُ مؤخرًا اساطين العلم في فرنسة نُزيد بهم علماء الاكادمية الفرنسوية الذين يعتبرهم العالم اجمع بمثابة خزَنة العلم ورؤسائه الاعظمين . ففي العام الماضي قام بينهم احد رصفائهم وعرَضَ عليهم هذا السؤال أيرون انَّ بين الشرائع الدينيَّة وحقائق العقل البشري تناقضاً ؟ وترجَّاهم ان يجيبوا خطيًّا على السؤال المذكور . فكان مجمل ما اجاب عنهُ العلماء انهُ ليس يوجد البتة مناقضة وخلاف بين الامرين . فجاء جوابهم احسن ردٍّ على المدَّعين بانَّ العلم لهُ المقام الافضل في العالم وانهُ لا يوجد ما يفوق عليهِ بل هو الآن الدين الصحيح لا دين غيرهُ

فهذه المبالغات الغريبة والمدَّعيات الباطلة سقطت اليوم امام أجوبة كبار علماء فرنسة . فكلُّهم جاهروا ببطلان مدَّعيات الملحدين وبتخطية الكتابات التي ينشرها اعداء الدين وحشَوْا بها الكتب المدرسية ليضلّوا بها عقول الاحداث ويُلقوا بهم في وهدة الضلال والفساد . وهم لا يخجلون عن تكرار قولهم انَّ العلم قد قشع اليوم ظلامَ المعتقدات الدينية وانهُ قد دكَّ التعاليم الالهية وان المادَّة هي التي تتطوَّر بكل اطوار الحسّ والنموّ والحركة والفكر وان نفس البهيمة كنفس الانسان لا اختلاف بينهما إلَّا بالدرجة والرقي وكلتاهما الى الفناء

وفي الكتب عينها يردّدون قولهم انَّ سعادة الانسان متوقفة كلها على العلم . وانَّ العلم أباد خزعبلات الدين فلهُ وحدهُ الحقّ بالوجود (١ وخلاصة كل هذه التعاليم ان في موت الانسان نهايةَ كل شيء . وانهُ لا حياة لهُ بعد الحياة على الارض . فينتج منها ما ذكرهُ الكتاب المقدَّس عن لسان اشعيا النبي (٢٢ : ١٣) : «فلنُرخِ العنان لكل شهواتنا فلنأكل ولنشرب لاننا غدًا سنموت . وهذا لعمري الباب المفتوح لكلّ المآثم اذ يسعى الانسان الى سدّ كل شهواتهِ والى تضحية ما يعوقهُ في سبيلها . وقد تبيَّنت نتيجة هذه الاخاليل بما شاع في أيامنا من الفظائع وضروب الآثام اذ لم يبق للانسان لجام

(١ اطلب الكتاب Léon-Franchet: Entretiens de morale républicaine

يكبح تلك الشهوات البهيمية التي تسود عليه بنفي الدين والخوف من المجازاة في الآخرة

ومثلهُ غلواً في الكفر قول الآخر في كتاب حديث : « انَّ بين الالفاظ الضيقة التي لم يَعُد تحت قشرتها لبابٌ ما يدعونهُ الله وعنايةً وخلوداً وما اشبه ذلك فهي اسماء بلا مسمّى» فتلك هي الدائرة لا تزال ارواح هؤلاء الملحدين تدور فيها كما تدور بعض البهائم حول الطواحين او النواعير لا يحيدون عن تلك الحلقة الضيقة

على ان الذين نكروا الحقائق الدينيَّة لم يلبثوا ان جحدوا ايضاً الحقائق العقليَّة لما بينها من العلاقات المحكمة . ومن هذا القبيل ما قالهُ ريتان : « ليس قضية لاهوتية او فلسفية يمكننا اثباتها ببرهان قاطع ينفي كل شكوك»

فهاتِ اذن نورد ما قالهُ علماء فرنسة مؤخراً لتخطئة هذه المزاعم قال لوشاتليه (Le Chatelier) الكيمويّ الكبير واستاذ جامعة سوربون : « ليس تناقض بين العلم والدين وهذه قضيَّة يثبتها الامتحان . فان بسكال وأمبار وكوشي كانوا متعمقين في الدين وهم من اكبر العلماء . ولسنا نجهل انَّ بعض الكتبة العصريين ينشرون احياناً في تآليفهم قولهم بان الدين والعلم على طرفَيْ نقيض لكنَّ هذا القول لا اعتبار لهُ عند اساطين العلم وانَّما يفوهُ بهِ من لهُ بعض إلمام بالعلوم او من يجهل العلوم تماماً»

واجاب المسيو لوكنت (Lecomte) النباتيّ الكبير والاستاذ في متحف التاريخ الطبيعي : « انَّ التناقض بين الدين والعلم لا أصل لهُ إلَّا في اوهام القائلين بهِ »

وكان جواب معلم ثالث في مكتب فرنسة الاعلى : « سُئلتُ أيوجد عدد كبير من العلماء ممَّن غلب عليهم الروح الديني . فأجيب انَّ الامر أوضح من ان يُشكَّ بهِ وليس من داعٍ للسؤال عنهُ لشيوعهِ وصدقهِ»

واجاب الاستاذ في مكتب المناجم المسيو دي لونه (L. de Launay) : «لا ريب في جهل القائلين بتنافاة العلم للدين وانا الذي أَلَّفتُ كتابي الممتون بالنصرانيَّة (le Christianisme) كانت غايتي بوضعه بيانَ هذه الحقيقة ان الدين والعلم لا تناقضَ بينهما البتَّة»

ولا يخالف العلماء السابقين في رأيهم المسيو اندويه (H. Andoyer) الفلكي والرياضي والاستاذ في جامعة سوربون فقال مجيباً : « لستُ أجد موجباً لقول الزاعمين

بان العلم ينفي الـدين لا بل لقد صحّ عندي ان العلم يؤدي بصاحبه الى الروح الديني» . ومثل هذا الحكم سبق اليه العلّامة الشهير باكون (R. Bacon) انّ العلم الزهيد يبعد عن الله وانّما العلم العميق فيقرّب اليه (Peu de science éloigne de Dieu et beaucoup y ramène)

وقال المسيو كينو (E. Quenu) استاذ الجراحة الشرفيّ في جامعـة الطب في باريس : «ليس لاحد ان ينكر تأثير الدين في الآداب وعلى رأيي ان اصلاح الآداب لا يمكن الحصول عليه دون الروح الديني»

واجاب المسيو بوفيه (Bouvier) استاذ النباتيّات في متحف التاريخ الطبيعي : « أيوجد نزاعٌ بين العلم والدين ؟ ذلك امرٌ لم ألحظهُ قطّ . والتاريخ في كل اطواره يذكر عدداً عديداً من كبار العلماء المتديّنين. وأريد بالعلماء اولئك الذين امتازوا بالعلوم الطبيعية التي ينويها القائلون بالتناقض المزعوم بين العلم والدين . وعلى رأيي انّ الروح الدينيّ اجدر به ان يدفع الانسان الى التعمّق في كل هذه العلوم »

فترى من هذه الشواهد وغيرها ايضاً نستطيع ان نثبتها وكلّهـا تدقّ على وتر واحد : كلّا ليس تنافٍ بين العلم والدين . والعلمُ النزيه هو العلم الصادق العميق ليس العلم السطحيّ . لان العالم الصادق على قدر اتساع علمـه تتّسع ايضاً امـامهُ دائرة العلوم وارتباطها بعالم عُلوي يفوق عقلهُ وباسرار من الطبيعة لم يقوَ على كشفهـا إلّا بالتقرّب من اصلها اعني الى الله ربّ العلوم وخالقها

وهذا التقرّب بين العلم والدين زاد زيادةً عظيمة على ما كان عليه قبل اربعين سنة . قال الكاتب المجيد بول بورجه « بعد ارتداده الى الايمـان : « اني كنت في شبابي قبل اربعين سنةً مشغفاً بالعلم فأجعلهُ الكلّ في الكل فأزعم انّ العلم فيه كل ادب وكل سياسة وكل دين بل هو الدين الجديد ليس دينٌ غيره . ذلك كان دستور ايماني . والآن اراني قد خُدعت بهذه الخيالات الباطلة وانقشع الظلام عن عقلي »

ويسرّنا هنا ان ندوّن بعض كلام المرشال فوش بطل الحرب الكونيّة الاخيرة ومن اعضاء الاكاديمية الفرنسويّة قال : «انّ الدينَ في دروسه يحتاط يوماً بعد يوم بانوار العلم والعلمَ في اكتشافاته المتوالية لم يقف حتى الآن على شيء يضادّ التعليم الديني . فكلاهما اخوان يسيران في خطّة متساوية دون ان يسبق احدهما الآخر . لا بل يجد من

يُحسن فيها الظنّ نقطاً عديدة متأسّة يتفقان عليها ولذلك ترى العلماء الاثبات متديّنين، والعالمُ المؤمن احقّ من غيرهِ بالاعتبار والتصديق لانّهُ لم يؤمن إلّا بعد اقتناع وفحص مدقّق. كما انهُ في اعتباره للكنيسة يرى في حياتها واعمالها ووَحدتها وانتصارها في جهادها، وجباً لإعجابهِ ورضوخهِ لاحكامها بينما ترى الجاهل لا يلحظ فيها سوى ظواهرها وقشرتها الخارجة فلا يستنتج منها نتيجة»

والعلّامة جورج كلود (G. Claude) شيخ علماء الاكادمية الفرنسوية بصفة كونه فيلسوفاً وعالماً اوضح مقام العلم والدين وما لكليهما من الحقوق فقال: «كيف نسمح لاحد ان يقول انّ العلم ينفي الايمان؟ فانّ العلم يحتجّ بلْ فيهِ على هذا القول. لاسيما بعد ما رأينا ما آلت اليهِ احوال البلاد التي نفثت الدين فتفاقمت على اهلها البلايا وتمدّدت النكبات فأصبحوا لهاوى سكارى لا يدرون كيف يخمدون لظى قلوبهم ويردّون لضمائرهم راحتها. انني أقرّ بما يخصّني انني احببتُ العلوم وخدمتُها كثيرًا فبعد المزاولة الطويلة والنظر العميق بلغتُ الى هذه القضيّة وهي ان الدين لم يقهر العقل كالنتائج الرياضيّة التي لا مناص من التسليم بها لكنهُ يسري في جوهر العقل بهدوء وينفذ فيهِ نافياً كل شكوك وناشرًا فيهِ نورهُ الساطع»

ويردف المسيو لوشاتليه قائلًا: «انّ اعظم برهان على فضل الدين عملُهُ الصالح المحيي في خير الهيئة الاجتماعيّة. ولهذا لا يتمالك كبارُ العلماء عن الغيظ والحنق ضدّ الكتبة المفسدين الذين بتآليفهم وكلامهم ونفوذهم يُعادون الدين ويسعون باطفاء انواره التي وحدها ترشد الانسان الى الصلاح والخير»

ومثلهُ المسيو كينو يتمعّض من هؤلاء المتعنّتين قائلًا: «بئس فعلُكم بعداوة الدين ايها المتوسّطون بالمعارف والمتفخرون بالقليل ممّا احرزتم من العلم المصابون بعمى عقولكم وباستسلامكم للشهوات الباطلة فانكم اعداء الاجتماع البشري. والخير العامّ». ويؤمّن على هذا القول المسيو سيجورنه (Séjourné) الرياضي النطاسي ومهندس الجسور والطرق في فرنسة. ويصدّق على رأيهما الكيموي والزراعي الشهير المسيو اندره (G. André) قائلًا: «ان معظم الذين يتمدّدون بالدين مدفوعون الى عملهم غالباً بروح الكبرياء والفطرسة كأن العلم البشريّ يستطيع ان يحلّ كل مشاكل الحياة»

نعم ان كفر الملحدين هو الذي يدفع الى اعماق البلاء والبؤس. فالكفرة بنكرانهم

لشهادة الله وجعلهم العقلَ البشري في مكانه يأتون بافظع آثام الوثنيّة اذ ينصبونهُ على هيكل ايمانهم فيتقدّمون لهُ سجودهم وبخورهم كما فعلوا في باريس في عهد الثورة الكبرى لمّا سجدوا لفتاةٍ لقّبوها بالإلهة العقل la déesse Raison

فكفى بهذه الادلّة إفحاماً لكلّ المتشدّقين الذين يردّدون كالببغاوات ما يقولهُ الكفرة ان الدين والعلم لا وفاق بينهما وانّهما عدوّان ألدّان

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي

الباب الاول في الادباء المتوفّين في الحقبة الثالثة (تابع)

٢ ادباء النصارى المتوفوه في هذه الحقبة

اوّلاً الاحبار والكهنة

بين السنين التي مرّت منذ نهاية الحرب العالميّة الى اواخر السنة ١٩٢٦ دعا الله الى جواره بعض احبار الكنيسة الذين خدموا الآداب متاجرين بالوزنات التي نالوها من ربّهم

﴿السيد ديونيسيوس افرام نقّاش﴾ نكبت الطائفة السريانية بفقد هذا الحبر الجليل في ١٣ آذار سنة ١٩٢٠ توفي في مدرسة الشرفة في لبنان عن سبعين عاماً. وكان السيد الفقيد رئيس اساقفة حلب على السريان الكاثوليك منذ ٥ نيسان سنة ١٩٠٣ أدّى في حياته لملّته خدماً جمّة وقد عُرف بنسكه وانصرافه الى العيشة التقويّة. وكان مولعاً بدرس التاريخ وقد نشر في ذلك كتاباً نفيساً ضمّنهُ اخبار طائفته